**ثانيا** : **النثر في عصر صدر الاسلام ( عصرالرسول والخلفاء الراشدين )**

**الفصل الأول**

**فنون الكتابة والرسائل**

**تقديم :**

**نقصد بالنثر الكلام البين الفصيح البليغ الذي يعبر عن حاجات الفرد والمجتمع والذي يخلو من الوزن والقافية ، ولذلك سمي منثورا بخلاف الشعر فهو المنظوم من الكلام ، أي انتظم بوزن وقافية .**

**لقد حدث للنثر قفزة نوعية في العصر الاسلامي قياسا للشعر ، فقد ازدهرت الفنون النثرية، وانتعشت في ظل الاسلام ولاسيما الخطب ، إذ وجدت البيئة المناسبة لنموها وازدهارها ، ولذلك فقد سمت فنون النثر من خطب ورسائل وفنون كتابية أخرى على الشعر الذي لم يحقق ماحققته الخطب في هذا العصر ، كما أن النثر في ظل الاسلام أصبح أكثر نضجا منه قبل الاسلام ، ونظرة مقارنة بين واقع النثر الجاهلي وموضوعاته ، وبين النثر الاسلامي ، يظهر لنا البون الشاسع ، والمدى الذي قطعه النثر في صدر الاسلام ، فقد كان النثر في الجاهلية محددا في استعماله لأن طبيعة حياة الجاهليين تقدس الشعر ، وتتخذه وسيلة أساسية للتعبير عن نوازع القبيلة ومتطلباتها ، فالشعر هو الاداة الاولى والمهمة في الحروب والهجاء والافتخار والمديح ، لذلك تقدم الشعر على النثر ، والشاعر على الخطيب ، فحياة البداوة والانتقال الدائم فرضت سيادة الفن الشعري على فنون الادب الاخرى ، لأن الشعر يناسب حياة التنقل وعدم الاستقرار، لأنه سهل الحفظ ، إذ يحفظ في الذاكرة ، بفضل الوزن والقافية فيه ، ولا يحتاج الى تدوين واستقرار وكتاب كما هوحال فنون الكتابه .**

**ويلاحظ ان الاسلام ثورة دينية وسياسية ، فكرية وانسانية غيرت الموازين السائدة في حياة العرب ، وهذه التغييرات التي جاء بها الاسلام احتاجت معها الى وسيلة تعبير جديدة تستوعب كل هذه التغييرات وتعبر عنها وتحتويها غير الشعر الذي عجز احيانا عن استيعاب هذه التغييرات ، وربما أعاقته القيود التي تمثلت بالوزن والقافية ومنعته من التكيف مع التغييرات الجديدة واستيعابها ، فكان النثر هو الوسيلة المثلى للتعبيرعن الحياة الجديدة ومتطلباتها . لقد خضع النثر للتطور الاسلامي لخلوه من القيود التي خضع لها الشعر ، وهناك محفزان أو أمران ساعدا على تطور النثر في ظل الاسلام ، هما :**

1. **القرآن الكريم : فقد كان القرآن صورة مثالية للنثر العربي باعتباره نصا نثريا ، فكان طبيعيا أن يكون هذا النموذج صورة جديدة يحتذيها العرب فيما ينثرون ، ويخطبون ، أي في نثرهم وخطبهم ، وإذا أدركنا أن الأسلوب القرآني قد بلغ الذروة في جمال الأسلوب أدركنا صورة النثر العربي في هذا العصر ، وقد قام الكتاب والخطباء بتقليد ومحاكاة القرآن في أنماطهم النثرية .**
2. **بلاغة الرسول الكريم ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ومما يؤثر ان الرسول كان أبلغ العرب قاطبة ، وللرسول خطب وأحاديث هي الذروة في الجمال والفصاحة ، والبيان والبلاغة بعد القرآن الكريم ، وما تهيأ للرسول من بلاغة لها تأثير على طبيعة النثر العربي ، فقد خاطب الرسول الوفود ( في عام الوفود ) بلغة لم يسمعها ويفهما معاصروهمم أرباب الفصاحة والبلاغة ، لقد عرف الرسول بفصاحته ، فقد كان أفصح العرب ، وأن الفصاحة كانت توفيقا من الله ، وتوقيفا ، فقد بعثه الله الى العرب وهم قوم تنقاد أرواحهم لألسنتهم (1) ، وقد وصف الرسول نفسه بالفصاحة فقال : " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش " وقال ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : " بعثت بجوامع الكلم " (2) ، ويروى أنه قيل للرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : لقد طفت في العرب وسمعت فصحائهم ، فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟- أي من علمك - فقال الرسول : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " (3) وبذلك نصل الى حقيقة وهي أن النثر وصل لأعلى مراتب الفصاحة بفضل القرآن الذي وصل الى درجة الاعجاز ، والنثر النبوي كذلك فصار القرآن الكريم ، والحديث الشريف أسلوبا للإحتذاء والتقليد للكتاب والخطباء**

* **الفنون النثرية في عصر صدر الاسلام : (4)**

**لقد تعددت الانماط النثرية في عصر صدر الاسلام وتلونت بحسب الحاجة اليها ، ويمكننا تقسيمها الى : فنون كتابية ورسائل في عهد الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وفنون كتابية ورسائل في عهد الخلفاء الراشدين ( رضي الله عنهم ) تسهيلا للدراسة .**

1. **الفنون الكتابية والرسائل في زمن الرسول . وتشمل :**

**أ: كتابة العهود والأحلاف والمواثيق .**

**ب : الرسائل .**

**الفنون الكتابية من الفنون النثرية المهمة التي تطورت في ظل الاسلام ، وتكاد تكون من الانماط الجديدة لأننا لم نألف هذا اللون النثري في الجاهلية لشيوع الأمية بينهم ، وليس معنى هذا أن العرب ماكانوا يعرفون الكتابة ، بل عرفوها ولكن بحدود ، ولذلك جاء ذكر الكتابة وادواتها في القرآن الكريم ، فضلا عن الشعر الجاهلي . لقد ازدادت الحاجة الى الكتابة في ظل الاسلام ، إذ أصبح الأداة التي تسير أمور المجتمع ، وتلبي متطلباته ، ومن هنا فقد اتخذها الرسول أداة مهمة لتنظيم المجتمع الاسلامي ، لذلك ولإدراك الرسول لأهمية الكتابة فقد جعل فداء الاسرى المشركين تعليم عشرة من صبيان المدينة المسلمين القراءة والكتابة ( لكل اسير واحد ) ، وحث القرآن والرسول على تعليم الكتابة ، أما دواعي الكتابة في عصر الرسول فهي :**

* **كتابة الوحي ، وظهر ديوان لكتاب الوحي بلغ عددهم أكثر من أربعين كاتبا.**
* **تبليغ الدعوة الاسلامية .**
* **كتابة العهود والمواثيق والأحلاف بين المسلمين ، ومن دخل الاسلام حديثا أو بين المسلمين واليهود .**
* **تنظيم أمور المجتمع والدولة .**

**أ - كتابة العهود والمواثيق والأحلاف .**

**ويمكننا أن نقسم كتابة العهود في عصر الرسول على مراحل وكما يأتي :**

**- المرحلة الاولى : وتمثل هذه العهود الطابع النثري للكتابة في السنوات الأولى من حياة الرسول بالمدينة ، أي من بدء الهجرة الى صلح الحديبية سنة 6 هجرية ، ومن نماذجها :**

**- نموذج (1 )**

**كتب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) الى بني ضمرة بن بكر من كنانة ( 5):**

**( أنهم آمنون على أموالهم ، وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من دهمهم بظلم ، وعليهم نصر النبي (ص ) ما بل بحر صوفة ، إلا أن يحاربوا في دين الله ، وأن النبي إذا دعاهم أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، ولهم النصر على من بر منهم واتقى )**

* **( نموذج ( 2 )**

**كتب رسول الله الى نعيم بن مسعودالأشجعي (6):**

**( بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما حالف عليه نعيم بن مسعود بن رخيلة الأشجعي ، حالفه على النصر والنصيحة ، ما كان أحد مكانه ، ما بل بحر صوفة )**

**مثلت هذه العهود طابع الكتابة في السنوات الاولى من حياة الرسول في المدينة ، وتتميز:**

* **التعبير عن المعنى المراد وتبليغه دون محاولة التنسيق .**
* **يكون اللفظ على قدر المعنى توخيا للإطالة .**
* **الخلو من أساليب البيان الفني ، إلا ماجاء عفويا دون تكلف ، كأسلوب الكناية في قوله : ( ماكان أحد مكانه ، ما بل بحر صوفة ) كناية عن الثبات**
* **عدم مراعاة القواعد الفنية في البدء والختام .**
* **الخلو من أساليب المبالغة والتفخيم والألقاب .**
* **المرحلة الثانية : وتبدأ من صلح الحديبية 6 هجرية الى فتح مكة 8 هجرية ومن نماذج هذه المرحلة :**
* **نموذج (1 ) : كتب رسول الله الى هوذة بن علي صاحب اليمامة (7):**

**( من محمد رسول الله الى هوذة بن علي : سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن**

**ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ماتحت يديك )**

* **نموذج (2 ) وكتب الى خالد بن الوليد (8) . ( من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد :**

**سلام عليك : فإن أحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو .**

**أما بعد : فإن كتابك جاءني مع رسولك ، يخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم ، وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ، ورحمة الله وبركاته )**

**ويمكننا أن نرصد بعض السمات للرسائل في هذه المرحلة لنبين التطور الذي حصل في بعض جوانبها :**

* **ظهور نوع من المنهجية لنظام البدء والختام في الرسالة ، وإن لم يأخذ طابعا واحدا كما يظهر في الرسالتين ، حيث تضمنت الثانية خاتمة ، وخلت الأولى منها ، وأيضا اشتملت الثانية على عبارة أما بعد ، بينما خلت الاولى منها .**
* **التردد بين الايجاز والاطناب ( الإطالة ) وكما يلاحظ فإن الرسالة الاولى جاءت موجزة أما الثانية فتميل نحو الاطالة**
* **وجود نوع من الاهتمام البياني ( الفني ) في الاداء ، فقد توفرت الرسالتان على صور بيانية بدلا عن الاسلوب المباشر ، ويتضح هذا في عبارة : ( واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر ) بدل ان يقول سيظهر في الجزيرة كلها .**

**المرحلة الثالثة : وتبدأ هذه المرحلة من فتح مكة سنة 8 هجرية ، الى وفاة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) سنة 11 هجرية . ويبدو ان هناك لونا من التطور اليسير في شكل الرسالة ومضمونها ، سنتبين ذلك في النموذجين التاليين :**

**نموذج رقم (1)**

**كتب رسول الله الى أكيدر دومة (9) :**

**( من محمد رسول الله لأكيدر دومة ، حين أجاب الى الاسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد ، سيف الله في دومة الجندل ، وأكنافها : أن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعاصي ، وأغفال الأرض ، والحلقة والسلاح ، والحافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور ، لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤدون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك العهد والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين ) .**

**نموذج رقم (2)**

**كتاب رسول الله الى أهل همدان (10) :**

**( هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف ، وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه . إن لهم فراعها ، ووهاطها ، وعزازها ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، يأكلون علافها ، ويرعون عافيها ، لنا من دفئهم ، وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب ، والفصيل والفارض ، وعليهم الصالغ والقارح . )**

**نلاحظ بعض السمات الجديدة على هذه الرسالة التي شكلت تطورا في هذا الفن :**

* **من حيث المضمون : فقد تعددت أغراض الكلام وتنوعت ولم تقتصر على موضوع واحد ، فقد تناولت الرسالة تفصيل الحقوق والواجبات على نحو لم نعهده في الرسائل من قبل**
* **من حيث الشكل نجد بوادر تحسين الاسلوب والتنميق بدأ في الرسالة كالإزدواج والسجع في قوله : ( لاتعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ) والموازنة والسجع في قوله : ( تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤدون الزكاة لحقها ) والموازنة في قوله : ( عليكم بذلك العهد والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء )**
* **مال الاسلوب الى انتقاء لفظة على لفظة لتوخي الدقة ، والجمال في الأداء ، مثلا اختيار كلمة ( وخلع بدلا من وترك ) لأن في الخلع معنى الترك وزيادة أي انها توحي بمعنى الاصرار على ترك عبادة الاصنام وعدم الرجوع الى عبادتها ، أما الترك فليس فيه هذا المعنى ( 11) .**

**ب - الرسائل ، وتشمل :**

**1 – رسائل تبليغ الدعوة الاسلامية**

**وبعد أن قوي الاسلام بدأ الرسول بنشر الدعوة الاسلامية خارج الجزيرة العربية ، وكانت الكتابىة إحدى الوسائل المهمة لذلك ، فأخذ الرسول يكاتب الملوك الأعاجم ، وقيصر الروم بين ( 6-8 ) للهجرة ، والى النجاشي ملك الحبشة ، والمقوقس ملك الأقباط في مصر ، وكتب تلك الرسائل بأسلوب سلس وواضح لتسهل ترجمتها لهؤلاء الملوك . وهناك نماذج لهذا النمط من المكاتبات منها :**

**نموذج رقم (1 )**

**هذا كتاب الرسول الى قيصر الروم ( 12):**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى**

**أما بعد : ، فإني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فإن عليك إثم اليريسيين .**

**" وياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ،ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون "**

**نموذج رقم ( 2 )**

**رسالة الرسول الى كسرى ملك فارس( 13) :**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام علة من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله الى الناس كافة ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس "**

**ويلاحظ انها رسائل موجزة قصيرة ، يراد منها الوصول الى الهدف بشكل مباشر ، ولذلك فهي خالية من الزخرف والفنون البيانية الاخرى ، كما تميزت بوضوحها وسهولة لغتها ليسهل ترجمتها الى لغة المرسل اليه ، ويلاحظ ان الرسالة الاولى ختمت بأية قرآنية يراد منها اقناع المقابل بكلام الله المناسب لحالة من يحاول بث الدعوة بأسلوب مثالي مقنع وكلام مؤثر في القلوب والعقول ألا وهو كلام الله ن كما يلاحظ انها لم تهتم بديباجة معينة ، ولم تلتزم منهجا ثابتا في البدء والختام .**

1. **رسائل تشريعية –**

**وهي مكاتبات الرسول للعرب المسلمين لتوضيح الأحكام والسنن ، والفرائض ليسير عليها المسلمون ، ونلاحظ أن معظمها يكتب لقبائل الجزيرة وليس للمدينة ، لأن أهل المدينة على اتصال بالرسول ، أما أهل الجزيرة فيأخذون هذه المكاتبات من الرسول بعام الوفود ، وكانت المكاتبات بلهجات مختلفة غير معروفة لأهل قريش ، ومن هذه المكاتبات التشريعية كتاب الرسول الى أهل همدان في عام الوفود ، يشرح لهم أحكام الدين كالزكاة ومما يلاحظ على هذه الرسائل غرابة لغتها لأنها كتبت بلغة القبائل التي ارسلت اليها هذه الرسائل كي تفهم مايراد منها ، حين دخلت الاسلام ، وبالتأكيد فإن لهجة هذه القبائل تختلف كثيرا عن لهجة قريش التي نزل بها القرآن . وهذه نماذج لهذا النمط من الرسائل**

**نموذج رقم (1)**

**كتاب رسول الله الى وائل بن حجر وأهل حضرموت : (14)**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**من محمد رسول الله الى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على التيعة الشاه، والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلاط ، ولاوراط ، ولا شناق ولا شغار ، ومن أجبن فقد أربى ، ةوكل مسكر حرام " .**

**وهناك عدة رسائل أخرى على هذا النمط كلها توثق عهودا للمسلمين مع من أسلموا وتحقق ارتباطا بينهم يضمن للطرفين المهادنة والمناصرة وضمان الأمن والسلام يمكن الرجوع اليها في طبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وصبح الأعشى ، والعقد الفريد .**

**ويلاحظ على هذا النمط من الرسائل صعوبة اللغة وغرابتها ، وميل هذه الرسائل للإطالة لأنها تحوي تفصيلات فقهية وتوضيح أحكام ، ويلاحظ ايضا أنها لاتلتزم بناء فنيا واحدا .**

**السمات الفنية للكتابة في عصر الرسول -**

**1- الميل الى البساطة والسهولة في التعبير عن المضمون ، لاسيما في السنوات الأولى من الهجرة**

1. **- الابتعاد عن الزخارف اللفظية ، واساليب البيان ، إلا نادرا أو ماجاء منها عفويا غير مقصود**
2. **الايجاز ، والنفاذ الى القصد مباشرة ، فالمقصود من الرسائل التبليغ ، أي تؤدي الهدف مباشرة دون تنميق ، ولكن يلاحظ أن بعض رسائل النبي التي بعث بها الى بعض الأقوام حديثي الاسلام قد أخذت تتسم بالاطالة ذلك لأنها تحوي شرحا وتوضيحا لأمور الاسلام كالزكاة والصدقة والارث وغيرها مما تطلب التفصيل والايضاح .**
3. **ضعف الميل الى الالتزام بعناصر بناء الرسالة ، وعدم الخضوع لقواعد معينة في**
4. **البدء والختام ، فالرسول لم يتخذ منهجا واحدا في بناء رسائله ، فقد كان يفتتح بعض رسائله بعبارة : ( من محمد رسول الله الى فلان ) ، وبعضها : ( أما بعد )**

**أو بالبسملة ، أو بعبارة : ( هذا كتاب من محمد رسول الله الى فلان ) وفي بداية الرسالة قد يأتي بالسلام فيقول : ( سلام عليك ) أو ( السلام على من آمن بالله ورسوله ) وفي خطاب غير المسلم يقول لا: ( سلام على من اتبع الهدى ) وربما أسقط السلام ، وقد يتبع السلام بالتحميد ، وقد لا يفعل ، وقد يتبع التحميد بالتشهيد ، وقد لا يفعل ، أما الختام فقد يكون بالسلام كاملا وربما اكتفى ( والسلام وقد يسقط السلام من الختام .**

1. **الخلو من عبارات التعظيم والتفخيم والألقاب إلا في النادر ، فكان الرسول يذكر اسمه مجردا من الالقاب إلا ( رسول الله ) وكذلك يذكر اسم المرسل اليه مجردا من التعظيم إلا في رسالته لخالد بن الوليد حينما ناداه ( سيف الله ) تعظيما له وتشريفا**
2. **الاقتصاد في استخدام أساليب البيان الفنية من تشبيه واستعاره وكناية ، وإيثار التعبير بلغة الحقيقة على لغة المجازغالبا .**

**2- الرسائل والمكاتبات في العصر الراشدي**

**( من خلافة أبي بكر الى خلافة معاوية من 11- 41 هجرية )**

**إذا استقرأنا المكاتبات التي وصلتنا من العصر الراشدي، ودرسناها دراسة متأنية ، نجد أنها امتداد لما كانت عليه في عصر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) فقد تطور النثر والكتابة بشكل خاص ، لأن مستلزمات الحياة الجديدة أوجبت هذا التطور ، وأضافة الى الدواعي والحاجات السابقة فقد ظهرت دواعي جديدة استوجبت الكتابة فبالاضافة الى كتابة الوحي ، ونشر الدعوة ظهرت الحاجة الى تدوين الحديث ، ورسائل ادارية لتنظيم أمور الدولة مع اتساع الدولة الاسلامية مع الفتوحات ، ظهرت الحاجة الى الرسائل العسكرية ، ثم الرسائل السياسية مع ظهور التطور السياسي والفتن والخلافات السياسية نهاية العصر ، ولاشك أن هناك عوامل جديدة طرأت على المجتمع ساعدت في ازدهار فن الكتابة منها :**

1. **حروب الردة : وتعد عاملا خطيرا عمل على ازدهار الادب بكل انواعه وتطوره واتساعه .**
2. **الفتوحات الاسلامية**
3. **اتساع الدولة الاسلامية وظهور مدن وأمصار كثيرة انضمت الى الدولة الاسلامية**
4. **الفتن والحروب الداخلية والخلافات العقائدية والسياسية في نهاية العصر ، والتي بدأت في خلافة عثمان بن عفان ( رضي الله عنه )**

**وهذه العوامل كان لها تأثير كبير على النثر العربي بشكل خاص والادب بشكل عام ، ونتيجة لها تنوعت أغراض الكتابة والرسائل ، ومن أنماط الرسائل :**

**أنواع الرسائل :**

**1- الرسائل الحربية**

**وقد دعت الحاجة الى هذا النوع من الرسائل الحروب التي قامت في هذا العصر كحروب الردة ، ثم حروب الفتوحات الاسلامية ، فكانت الحاجة ملحة لكتابة رسائل من الخليفة الى قائد الجند أو من قائد الجند الى الجيش لغرض توجيه المعارك ، ويمكن تمييز نوعين منها هما :**

**أ - رسائل الاستنفار : وهي رسائل الدعوة للقتال والتجنيد ، وهي تصدر عن الخليفة ، واحيانا من القادة الى أمرائهم ، وغرضها حثهم على الجهاد ، واستنفارهم للحرب والقتال**

1. **رسائل التوجيه العسكري : وهي رسائل عسكرية لتوجيه القادة لتغيير أماكنهم أو تغيير خطة الحرب ، أو توجيههم توجيها جديدا تستدعيه ضرورة ملحة ،وهذه مصدرها الخليفة ، أو قد تكون توجيها من القائد لجنده في حال هناك تغيير في خطة القتال .**

**وهذا النمط من الرسائل ( العسكرية بشكل عام ) تكون موجزة قصيرة لها هدف وغاية محددة ، بعيدة عن الفن والتفنن . وهذه نماذج لها :**

**نموذج رقم (1 )**

**رسالة في الاستنفار الحربي للجهاد من أبي بكرالصديق ( رضي الله عنه ) الى قبائل العرب ، والى من ارتد منهم (15) :**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**من أبي بكر خليفة رسول الله (ص ) الى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أورجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى ..... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام ، وعمل به اغترارا بالله .**

**وأني أ نفذت اليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بالأنصار ، وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعو الى داعية الله ، فمن استجاب له ، وأقر وكف وعمل صالحا ، قبل منه ، وأعانه عليه ، ومن أبى أمرته ان يقاتله على ذلك " .**

**نموذج رقم ( 2 )**

**كتب خالد بن الوليد لأمراء الجند يوجههم ويستنفرهم لقتال الروم بأجنادين (16) :**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**أما بعد : فأنه نزل بأجنادين جمع من جموع الروم ..... وقد شخصت اليهم يوم سرحت رسولي اليكم ، فإذا قدم عليكم ، فانهضوا الى عدوكم – رحمكم الله- في أحسن عدتكم ، وأصح نيتكم .... "**

**نموذج رقم ( 3 )**

**رسالة أبي بكر الصديق الى خالد بن الوليد يدعوه للتوجه لفتح العراق بعد أن فرغ من قتال المرتدين من بني حنيفة (17) :**

**" سر الى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند ، وتآلف مع أهل فارس ، ومن كان في ملكهم " .**

1. **الرسائل الإدارية : وقد تمخض هذا اللون من الرسائل عن توسع الدولة واستقرار العرب في الاقاليم المفتوحة ، وكان لابد من توجيه رسائل ادارية من الخليفة الى ولاته في الامصار لتوجيهه وتنبيهه ، واقتراح منهج عادل لحكم الرعية ، أو رسائل في مسائل التنظيم الاداري في الامور القضائية والشرطة والبريد والجباية ، والأموال والجند ، وهذه الرسائل الادارية تقابلها الرسائل التشريعية في زمن الرسول . وتشمل الرسائل الادارية :**

**أ – الرسائل القضائية : وهي رسائل يبعث بها الخليفة للقضاة في الامصار والمدن لتوجيههم وتذكيرهم بالعدل بين الناس . وهذا نموذج رسالة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) الى أبي موسى الأشعري حين ولاه قضاء البصرة (18) :**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس :**

**سلام عليك .**

**أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي اليك ، فإنه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس في وجهك وعدلك ، ومجلسك ، حتى لايطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد الى أقربها الى الله ، وأشبهها بالحق ، وأجعل لمن ادعى حقا غائبا ، أو بينة ، أمدا ينتهي إليه ، فإن أحضر بينة أخذت بحقه ، وإلا استحللت عليه القضية ، فإن ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى ، وأبلغ في العذر ...............والسلام " .**

**وهذه الرسالة القضائية من الرسائل المشهورة التي بعث بها الخليفة الى أبي موسى الأشعري ، وهي الرسالة التي" جمع فيها جمل الاحكام ، واختصرها بأجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتخذونها إماما " (19) ويمكننا أن نرصد في هذه الرسالة " من المعنى العميق ، واللفظ الجامع الرشيق ، ما جعل بعض عباراتها يجري مجرى الأمثال ، ويجري على الألسن في كل زمان ومكان ، ألسنا حتى اليوم نتمثل بقوله : " لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له " وقوله : " البينة على من ادعى واليمين على من أنكر " وقوله : " ومراجعة الحق خير من التمادي في االباطل " وغيرها من العبارات التي تجمع بين دقة المعنى ، وبلاغة اللفظ ، دون الاعتماد على المبالغة والتهويل ، والإطناب ، واقتناص المحسنات البديعية ، والحلى اللفظية " (20)**

**ب - رسائل توجيه الولاة ونصحهم : وهي رسائل يتوجه بها الخلفاء الى ولاة الامصار لتوجيههم ونصحهم وتنبيه غفلاتهم ، وقد اكثر الامام علي ( عليه السلام) من هذه الرسائل حرصا منه على مصلحة الرعية وأمانهم ، واستقرارهم . ومن نماذج ذلك :**

1. **نموذج (1 )**

**رسالة الإمام علي ( عليه السلام ) الى عامله مالك بن الأشتر حين ولاه مصر (21)**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين ، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمارة بلادها ....... واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ،وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك . وقد استكفاك أمرهم ، وابتلاك بهم .... فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عطفه وصفحه ......... " .**

**ويلاحظ التطور الحاصل في هذا ىالنمط من الرسائل الادارية ، فهي تميل الى الاطالة والاطناب ، و الاهتمام بالجوانب الفنية ،واختيار جيد اللفظ ، ومحكم العبارة ، ففهيا الكثير من حسن الذوق ، وحسن اكلام ، أما معانيها فكانت عميقة ، موضوعاتها متفرعة كثيرة ، وألفاظها جامعة رشيقة ، حتى أن بعض عباراتها تجري مجرى الامثال ، وتجري على الالسنة في كل زمان ، لاسيما وقد نطق بها من كان سيدا للبلاغة الامام علي ( ع ) والخليفة الفاروق ومن يراجع رسالة الامام علي لمالك بن الاشتر يعثر على مكمن البلاغة وكنز المعرفة .**

1. **الرسائل السياسية :**

**وما أن ينتهي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ويأتي زمن الخليفة عثمان بن عفان حتى تندلع الفتنه التي أودت بحياة الخليفة ، وأوقعت الفرقة والشقاق بين المسلمين ، ومزقتهم شيعا واحزابا ، وكان من نتائج ذلك على الكتابة أنها دخلت ميادين السياسة والخصومات وصارت وسيلة فعالة بأيدي المتخاصمين والمتجادلين ، فمالت الكتابة في زمن الامام علي الى الاطالة والاسهاب ، ودخول طابع المناقضات والجدل والاحتجاج عليها، كما ظهر عليها التأنق ، كما تميزت بعمق الافكار ودقتها في المقدمات والنتائج والخواتيم . ولعل خير نموذج نمثل به هنا هي المكاتبات التي جرت بين الامام علي (عليه السلام ) ومعاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الخليفة الثالث والفتنه التي اعقبت ذلك .**

**نموذج رسالة سياسية :**

1. **رسالة معاوية بن أبي سفيان الى الامام علي ( عليه السلام ) ، وقد وجه اليه رسولا ليأخذ البيعة . ( 22)**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**من معاوية بن صخر الى علي بن أبي طالب .**

**أما بعد : لعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك ، وأنت برئ من دم عثمان ، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ، لكنك أغريت بعثمان المهاجرين ، وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل ، وقوي بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك ، حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ، ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير ، لأنهما بايعاك ولم أبايعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ، لأن أهل البصرة أطاعوك ، ولم يطعك أهل الشام ، وأما شرفك في الاسلام ، وقرابتك من رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أو موضعك من قريش ، فلست أدفعه " .**

1. **رسالة الامام علي (عليه السلام ) ردا علة رسالة معاوية (23) :**

**" بسم الله الرحمن الرحيم**

**من علي بن أبي طالب الى معاوية بن صخر .**

**أما بعد : فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فأتبعه .**

**زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في حق عثمان ، ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا ، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ، ولا يضربهم بالعمى .**

**وبعد : فما أنت وعثمان ؟ إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه ، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلي .**

**وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير ، وأهل الشام ، وأهل البصرة ، فلعمري ما الأمر فيما هنالك إلا سواء ، لأنها بيعة شاملة ، لا يستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها النظر ، وأما شرفي في الاسلام ، وقرابتي من رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وموضعي من قريش ، فلعمري لواستطعت دفعه لدفعته " .**

**يلاحظ ان هاتين الرسالتين من النماذج الدالة على تطور جديد لفن الرسالة في هذا العهد ، وابرز مامح التطور فيهما : اصطناع اسلوب الجدل والاحتجاج والبرهنة ، حيث يأخذ معاوية في دفع حق علي في الخلافة ، ويتصيد الحجج في الخروج عليه ، واعتزام قتاله ، ويبرهن أنه لاحق له في بيعته وبيعة أهل الشام ، فيرد عليه الامام علي مؤنبا ، دامغا إياه بالميل عن الحق ، واتباع الهوى ، ثم ينقض حججه وبراهينه ، وبيان فساددها ، ليثبت حجته ، ويبطل حجة خصمه ، وهكذا تكاد البرهنة والاحتجاج تستغرق الرسالتين من أولهما الى آخرهما (24).**

**وبعد فالرسالتان تمثلان قمة ما وصلت اليه الكتابة الفنية في العصر الاسلامي ، فيلاحظ العناية بالاسلوب ودقة العبارات وحسن تحليلها ، ، وهذا كله يعبر عن تطور وازدهار في هذا الفن استجابة للأحداث المتجددة في هذا العصر .**

**4 - رسائل الأستنجاد : وهي نمط ظهر ملازما لأحداث طارئة أضطر مها أصحابها لأنشائها حين دعت الضرورة الى ذلك ، ومنها رسالة الخليفة عثمان ( رضي الله عنه) الى الخليفة علي ( عليه السلام ) حين أحيط به بما يعرف بيوم الدار :**

**كتب عثمان بن عفان ( رضي الله عنه ) الى علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) حين أحيط به ( 25) :**

**" أما بعد : فإنه قد جاوز السيل الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين ، وتجاوز الأمر بي ، قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه .**

**فإن كنت مأكولا فكن خير آكلي وإلا فادركني ولما أمزق "**

**فالرسالة عبارة عن طائفة من الأمثال أختيرت بدقة ، لتعبر عن الموقف الشديد الذي كان يعانيه الخليفة عثمان ، ويلاحظ ان الرسالة قد ختمت ببيت من الشعر ، وهو اتجاه لم نعرفه في فن الكتابة قبل هذه المرحلة ، ويعد تطورا واضحا في الاسلوب .**

**5 - رسائل النصح والارشاد :**

**وهي رسائل يتوجه بها أصحابها لغرض النصح والارشاد والتوجيه ، وهي قد شاعت انذاك من الأدنى منصبا الى الأعلى ، أي من الوعاظ والزهاد الى الخلفاء ، ةأو من الصحابة الى الخلفاء ، ومع ذلك فهي تنال قبولا حسنا من لدن الخلفاء ، لحرصهم على وحدة الامة ، وتقبلهم النصح والتوجيه من الاخر لذات الغرض . ومن هذا النمط من الرسائل ما كتبه الصحابيان : أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب ( رضي الله عنهم ) (26)**

**" من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب :**

**سلام عليك : فإنا نحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو .**

**أما بعد : فإنا عهدناك ، وأمر نفسك لك مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة ، أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ، ولكل حصته من العدل ، فانظر كيف أنت ياعمر عند ذلك ؟ وإنما نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه ، وتجب القلوب ، وتنقطع فيه الحجج ....... وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة يرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية ، أعداء السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا هذا سوى المنزل الذي نزل في قلوبنا ، فإنا إنما كتبنا اليك نصيحة لك والسلام " .**

**ويلاحظ ان الرسالة عبارة عن نصيحة الى من تولى أمر الامة لأجل التذكير والتبصرة وهي من الامور التي يجب أن يراعيها الحاكم في حكمه ، ورعيته للناس .**

**أما المعاني الواردة في الرسالة فهي ذات صبغة دينية واضحة التأثر بالقرآن الكريم ، ومستمدة منه ، وكذلك الألفاظ والعبارات هي الاخرى ذات طابع ديني متأثرة بالقرآن ، ولهذا عدت هذه الرسالة نموذجا على ظهورتأثر الكتاب في هذه الفترة بالقرآن الكريم ، الذي أخذ بعقولهم وقلوبهم ، وألسنتهم ، فاحتذوه لفظا ومعنى وأسلوبا ( 27)**

**ومع استقرار العرب بدأت رسائل جديدة تظهر وتعبر عن حاجات المجتمع وتطوره كالرسائل الاخوانية التي لاصلة لها بالامور السياسية والادارية ، انما موضوعاتها التعزية أو التهنئة ، كما ظهرت رسائل وصف الأمصار الجديدة ومشاهدات العرب في أماكن الفتح الجديدة كوصف نهر النتيل ، ووصف مصر وخيراتها ، ولكننا نكتفي بأبرز الرسائل وأهمها في هذه المرحلة .**

**السمات الفنية العامة للرسائل في العصر الراشدي**

1. **عدم اتباع منهجية واحدة في بناء الرسالة الذي يقوم على مقدمة وعرض**

**وخاتمة مع انها تطورت عما كانت عليه في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم ) ولكن مع ذلك لاتوجد طريقة واحدة في البدء والعرض والختام ، فكثيرا ما تستهل الرسالة بالبسملة ، ونادرا ما تبدأ بعبارة ( باسمك اللهم ) ثم يذكر اسم الرسل والمرسل اليه دون تعظيم أو تفخيم أو ألقاب ، ثم عبارة ( أما بعد ) والانتقال الى فحوى الرسالة ثم يختتمها بالسلام . وقد يكون بالشعر أو القرآن أو التخلي عن كل ذلك .**

1. **الميل الى البساطة في التعبير ، وبلوغ الفكرة مباشرة دون تعقيد والتواء**
2. **سهولة اللغة ووضوحها وخلوها من الغرابه غالبا .**
3. **الايجاز والاسهاب بحسب ما يقتضيه الموقف والمقام ، وما يقتضيه ظرف انشاء الرسالة ، فقد لاحظنا ان الرسائل الحربية بأنواعها تميل الى الايجاز ، بينما الرسائل السياسية والادارية تميزت بالاطالة والاسهاب لأن المقام والموقف يستدعي ذلك .**
4. **صدق الاحساس وحرارة العاطفة ، فالمكاتبات تصدر عن عاطفة صادقة ونبل أخلاق ، فهي صور للتربية الاسلامية الصحيحة .**
5. **البراعة في عرض الفكرة ، والدقة في تنظيمها ، فقد حرص المنشؤون على كتابة أفكارهم بدقة دون تكلف او تعقيد ،**
6. **التأثر بالقرآن الكريم شكلا وضمونا والاقتباس منه ، وهذه ظاهرة اسلوبية واضحة في هذا العصر تظهر مدى تأثر الكتاب بالقرآن الكريم وأعجابهم به ، وقد لجأوا الى الاقتباس من القرآن لأسباب منها**
7. **لتوثيق الكلام ورفع مصداقيته**
8. **للتأثير على القارئ ، وشده**

***ج- لتجميل الكلام ورفع الجانب الفني فيه لما للقرآن من أسلوب عذب لا يضاهيه* أسلوب آخر في البلاغة والبيان .**

1. **تقوية المعنى وتعضيده**
2. **الاستشهاد بالشعر ، والامثال في ثنايا الرسالة أو في ختامها ، كما مر بنا في رسالة الخليفة عثمان في الاستنجاد ، وكثر ذلك في رسائل الامام على (عليه السلام ) الى معاوية ورد معاوية عليه ، ويلاحظ ان ايراد الشعر والمثل في المكاتبات يأتي لغرض الاستشهاد وتقوية المعنى ، واتخاذه كدليل على مضمون أو فكرة ، وتجميل الكلام ، وشد القارئ وجب اهتمامه وانتباهه . والملاحظ ان الاستشهاد بالشعر لم يكن بالكثرة التي تجعلنا أن نقول أنه ظاهرة اسلوبية كما صار بعد ذلك في العصر الأموي .**
3. **القصد الى الغرض دون اطالة ، أو تكلف ، فالمعاني حقيقية غير مبالغ بها ، ليس فيها تهويل ، ولا زيادة ، فهي تفي بالغرض دون تزيد**
4. **بروز عنصر الخيال في التعبير والتصوير ، أي التفنن واستعمل المجازات والصور البيانية ، ولكن من غير تكلف ولا كثرة ومبالغة إنما باعتدال .**

**الفصل الثاني**

**الخطابة في عصر صدر الاسلام**

**تقديم :**

**الخطابة هي الفن النثري الشفاهي الذي يعتمد الاقناع والتأثير على المخاطب بما يعتمده الخطيب من أساليب مؤثرة ومقنعة من إيراد الحجج والبراهين ، ومن أساليب الجدل والمحاججه ، والاقتباسات بأنواعها : الدينية والادبية والتراثية بما له وقع كبير في النفوي والتأثير عليها ، وعليه فالخطابة ومنذ القدم كانت وسيلة ناجحة ، بل من انجح الوسائل المصاحبة للثورات ، والدعوات ، والتغييرات والاحداث المهمة في المجتمعات ، ونحن نعرف بأن الاسلام ثورة شاملة وتغيير جذري في نواحي الحياة والمجتمع ، ونهضة شاملة وتطور خطير في حياة العرب ، ومثل هذا التغيير بحاجة الى وسيلة تنهض به ، فكانت الخطابة هي تلك الوسيلة ، والأداة المهمة التي عالجت تلك التغييرات والتطورات ، وفي المقابل كان الاسلام وماصاحبه من تطورات عاملا مهما في النهوض بالخطابة وانعاشها ، وتنوع موضوعاتها ، وأساليبها ، وخلق كم كبير من الخطباء المجيدين**

**لقد ارتقت الخطابة في ظل الاسلام ، ووصلت الى عصرها الذهبي ، فقد أخذ الاسلام بيدها ، فزاد من دواعيها ، وارتاد بها حقولا جديدة ، لم تكن تعهدها في الجاهلية ، لأن الاسلام دين لم يقف عند المطالب الأخروية للإنسان ، بل جاوزها الى أمور الدنيا ، فاهتم بها ، وأولاها عناية شديدة ، فلم يدع فرصة للاجتماع إلا وحث عليها ، أو أوجبها ، كخطبة الجمعة والعيدين ، والوقوف بعرفات ، ولم تكن الخطب بذلك مقتصرة على الوعظ والارشاد ، والترغيب والترهيب ، بل تعدت ذلك الى ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والجهادية (1) ، وليس معنى هذا ان الخطابة في العصر الجاهلي لم تكن ذات شأن ، وان الجاهلي ماكان يعيرها اهتماما ، لكن كان اهتمامه بالشعر أكثر ، وحفاوته به عظيمة والخطبة تأتي بالدرجة الثانية والقصيدة والشاعر بالدرجة الأولى ، حتى أنهم " كانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج " (2) ،ويبدو أن سبب ذلك ما يمتاز به الشعر من " ايقاعات موسيقية ناشئة عن أوزانه وتفاعيله ، فهو بهذه القيمة أحلى وقعا في أسماعهم ، وأسهل حفظا على حوافظهم ، وأسرع طيرانا على ألسنتهم في جنبات الصحراء " (3) ،ويبدو أن الشعر هيئ لهم وسيلة كبيرة وعظيمة لذيوع وانتشار مفاخرهم ، وأمجادهم ، ومآثرهم التي طالما تغنوا بها ، وتفاخروا ، ومع هذا فقد روت الكتب معرفة العرب الجاهليين بالخطب ، وعنايتهم بها ، وتقديرهم لها ، فقد تولاها منهم أهل البلاغة والبيان ، وأصحاب الرياسة والسيادة ، ولعل من أشهر خطبائهم : قيس بن خارجة ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وأكثم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة ، وعامربن الطفيل ... وغيرهم كثر .**

**لقد تهيأت للخطابة عوامل ازدهار في عصر صدر الاسلام ، ساعدت على انتعاشها ، حتى سمت على الشعر ،وعلى سواها من الفنون النثرية الأخرى :**

1. **ان الخطابة تنمو وتزدهر في ظل الاحداث العظيمة ، والتحولات الخطيرة ، والاسلام كان ثورة شاملة على الحياة الجاهلية ، وأنه أحدث تحولا خطيرا ونهضة شاملة في حياة العرب ، ومثل هذا الظرف من شأنه أن ينهض بالخطابة ، ويخلق الخطباء**
2. **وجود دواعي وحاجات كثيرة في عصر صدر الاسلام كانت الخطبة وسيلتها المباشرة والمناسبة والوحيدة ومن هذه الحاجات والدواعي :**

**- مخاطبة الجماعة واقناعها بالدين والتأثير عليها**

**- استنفار الناس لغرض نشر الدين والدفاع عنه**

**- التبصير بتعاليم الدين الجديد ، وغزو العقول والقلوب بها**

**- هداية الناس ووعظهم وترغيبهم ، وارشادهم للاسلام**

**- الرد على الخصوم وتزييف باطلهم بالحجج والبراهين**

1. **الخطب أقدر على شرح الحقائق والدعوات والإقناع بها ، فهي في حقيقتها فن هدفه التوجيه والاستمالة والاقناع ، فن يجمع بين البراهين والأقيسة الفكرية العقلية من جهة ، والعاطفية من جهة أخرى ، لهذا كانت الخطب لسان الثورات والنهضات والدعوات والانقلابات .**
2. **الخطب فن يتسع له أفهام العامة والخاصة ، فهي مخاطبة جمهور كبير مختلف في كل شيئ ( الجنس ، العمر ، المستوى ، العرق ، الدين ) وبشكل مباشر .**
3. **لم يتعرض القرآن للخطب بما ينفر منها ويسئ اليها ، فلم يقف منها موقفه من الشعر ، بل حث عليها إذ جعلها شعيرة من من شعائر الاسلام في المناسبات الدينية كخطبة الجمعة والعيدين .**
4. **الخطب كانت عدة الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم ) في أمور شتى ، في دعوته الى الدين ، في بيان الاحكام في الوعظ والتذكير ، في الوعيد والتهديد .**
5. **ان الخطب تزدهر في أجواء الحرية والديمقراطية ، والاسلام قام على حرية الفكر واطلاق العقل ، وعلى التحرر من القيود ، فهو دين الحرية والسلام ، ونظام الدولة فيه تقوم على نظام الشورى، وان جميع المسائل تأخذ برأي الجماعة الغالبة ، وفي ظل هذه الاجواء انتعشت الخطابة .**

**وهناك عوامل ساعدت في انتعاش الأدب بشكل عام والنثر والخطابة بشكل خاص منها**

**أ – اتساع رقعة الدولة الاسلامية واستمرار عمليات الفتح ، استدعت وجود الخطابة ، وهذه الأمور أمدت الخطابة بموضوعات جديدة**

**ب - القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فقد تأثرت الخطابة بالقرآنة كما تأثر الشعر ، وتأثر الخطيب بأسلوب القرآن حتى أصبح أسلوب القرآن الكريم تقاليد فنية تسري في الخطابة ، وكان يعاب على الخطباء خطبهم الخالية من القرآن فكانت تسمى ( الشوهاء ) والخطب التي تفقد البسملة تسمى ( بتراء ) والتي تخلو من الشهادة تسمى ( جذماء )**

**موضوعات الخطابة في عصر صدر الاسلام**

**إذن ازدهرت الخطابة في صدر الاسلام بما تهيأت لها من عوامل جعلت من الخطابة وسيلة مهمة للنهوض بحاجات الامة ، فقد رحب أفقها وتعددت مقاماتها ، وعظم شأنها ، وكثر رجالها ، واحتلت المقام الأول في ميادين القول .**

**لقد تنوعت أغراض الخطابة وموضوعاتها واصبحت تختلف عما كانت عليه قبل الاسلام ، فقد كانت كثير من خطب الجاهلية تدور حول النزاع القبلي ، والوفادة بين القبائل ، وهي غالبا كانت تقوم على المفاخرة ، وتتشح بالعصبية القبلية ، وتدعو الى تأجيج الأحقاد ، وتمزيق وحدة الصف ، ولكن الاسلام طور من الخطب كثيرا ، ولعل من أهم موضوعات الخطب في عصر صدر الاسلام ما يأتي :**

1. **الخطب الدينية الوعظية :**

**وهي من أهم وأكثر الخطب التي برزت في ظل الاسلام ، وكانت الحاجة ما سة لمثل هذه الخطب التي كانت تدعم الدعوة الاسلامية ، وتنبذ الكفر والشرك ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، كما عالجت موضوعات اخرى منها الوعظ الديني والزهد . لقد ازدهرت الخطب الدينية وذلك استجابة لتيار الدعوة الاسلامية، واستجابة للأحداث ، وكانت هذه الخطب غالبا ما توشى بآيات قرآنية ، وتقتبس من القرآن ألفاظها ومعانيها ، وقد تميل هذه الخطب الى الاطالة ، وقد يكتفي بالكلام الموجز ذات العبارات المكثفة بما يؤدي الغرض ويوصل الى الهذف . لقد حرص الخطباء في هذه الخطب خاصة ، وفي الخطب الأخرى عامة على الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ، والاقتباس من ألفاظه وعباراته ، ومعانيه وأفكاره ، فكان القرآن هو المحتذى الأول لهم ، لذلك تميزت خطبهم بالجودة ، والبيان والبلاغة ، والرصانة والقوة . لقد أصبح الخلفاء والولاة يقومون بمهمة الخطابة الدينية للمسلمين لاسيما يوم الجمعة والعيدين ، أما في عهد الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم ) فكان هو الخطب بلا منازع .**

**نماذج الخطب الدينية : ( نموذج رقم 1 ) :**

1. **خطبة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم) في الجمعة الأولى في المدينة :**

**خطب ( صلى الله عليه وآله وسلم ) خطبته الأولى في المدينة ، فقال : (4)**

**" الحمد لله ، أحمده وأستعينه : وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا ألله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنومن الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصه فقد غوى وفرط ، وضل ضلالا بعيدا**

**وأوصيكم بتقوى الله ، فإن خير ما أوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرا ، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه ، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة .**

**ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية ، لاينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا بعد الموت ، حين يفتقر المرء الى ما قدم ، وما كان من سوى ذلك ، يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا " ويحذركم الله نفسه ، والله رؤوف بالعباد "........ والذي صدق قوله ، وأنجز وعده : لا خلف لذلك ، فإنه عز وجل يقول : " مايبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد "**

**فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجره ، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما . ....... الله**

**أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم " .**

**الخطبة كما نلاحظ دينية تقوم على الوعظ والارشاد الديني ، حيث يوصي الرسول السامعين بتقوى الله ، والحرص على مرضاته ، والخوف من غضبه، كما يحرص الرسول على ربط قيمة هذه التقوى ، وقبولها عند الله ، وترتب الثواب عليها ، بالاخلاص في النية ، والبراءة من الرياء ، بمطابقة السر العلانية ، وهذا الاخلاص في التقوى يضمن للمسلم فوزا عاجلا .**

**وهكذا تتمتع الخطبة بوحدة موضوعية من أولها الى آخرة فموضوعها التقوى ، وهي تدور حول هذا الموضوع وبيان نتائجه حقيقته، ويلاحظ شيوع الروح القرآنية في الخطبة حيث الاخذ من المعاني والالفاظ القرآنية واقتباس آيات من القرآن ، فجملة " من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصه فقد غوى " جملة مقتبسة من قوله تعالى في سورة النساء : " ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا "، وقوله تعالى في السورة نفسها : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا " وكذلك الجملة الواردة في الخطبة " فاحذروا ما حذركم ماحذركم الله نفسه ، فهي مقتبسة من قوله تعالى في سورة آل عمران : " ويحذركم الله نفسه " ، ويلاحظ الاقتباس القرآني من سورة "ق" في قوله تعالى : " مايبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد " وفي مواضع أخرى غيرها . وتعتمد الخطبة أسلوب التكرار لتأكيد المعاني وهو ما يعرف ( بالترادف المعنوي ) ونلاحظ ان الخطبة تميل للإطناب ( الاطالة ) كما نلاحظ ان الخطبة اشتملت على كل مراحل بناء الخطبة من مقدمة وعرض وخاتمة .**

* **( نموذج رقم 2)**

**خطبة الامام علي ( عليه السلام ) وهي أول خطبة له في خلافته (5) :**

**قال بعد أن حمد الله أثنى عليه : :**

**" إن الله تعالى أنزل كتابا هاديا ، بين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرم حرما مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، إلا بالحق ، لايحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة ، تحدو بكم ، فتخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر بالناس أخراهم .**

**أتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده ، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ، واذا رأيتم الخير فخذوا به ، وإذا رأيتم الشر فدعوه "واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات " .**

**ويبدو واضحا أن هذه الخطبة دينية ، ويلاحظ ان المعاني التي تقوم عليها الخطبة تدور في فلك الزهد والمواعظ ، فيها يدعو الامام الى التقوى والهداية والارشاد ، والصلاح ، وتكاد تكون خطبة الامام علي الدينية هذه تفسيرا لتعاليم القرآن ، وتفصيلا لها ، ولا عجب فالامام متشبع بإسلامه المبكر ، وبطول صحبته لرسول الله والقرب منه ، وأسلوب الامام – كما يبدو – يميل الى التأنق ، في صوغ العبارة وتزيينها ، فهو يستخدم الطباق ( الخير والشر ) و ( أمامكم وخلفكم ) والاستعارة ( تخففوا تلحقوا والصورة وسيلة من وسائل الأداء في أسلوب الامام بشكل عام . (6) كما ويلاحظ الاقتباس القرآني ، والاقتباس النبوي ، وهو ما أشرنا اليه بين الاقواس ، ففي جملة " والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " مقتبسة من حديث نبوي شريف بلفظه ، وفي قوله : " واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض ..... " هي آية قرآنية اقتبست بلفظها من سورة الأنفال في قوله تعالى : " واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون"**

1. **الخطب التشريعية :**

**وقد اقتصرت هذه الخطب على الرسول محمد ( صلى الله عليه وسلم ) فهو المشرع الوحيد بإذن الله بعد القرآن الكريم ، وقد دعت الضرورة لهذا النوع من الخطب فهي تفسير لما جاء مجملا في القرآن الكريم ، وتشريع الكثير من الأحكام التي جاء بها الاسلام وشرحها وتوضيحها للناس بعد أن انتشر الاسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وهذه النماذج الخطابية بمثابة دستور مهم للمسلمين ، وقد تجلى هذا النمط بوضوح في خطبة الوداع ، وهي آخر خطبة للرسول في حجة الوداع ألتي وضح فيها كثير من السنن والأحكام العامة والتشريعية .**

* **نموذج للخطبة التشريعية : ( خطبة الوداع )**

**وهي آخر خطبة خطب بها الرسول في حجة الوداع ، فقال (7) :**

**" الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .......... أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، واستفتح بالذي هو خير .**

**أما بعد : أيها الناس ، إسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موقفي هذا .**

**أيها الناس : إن دماءكم ، وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا . ، وأن دماء الجاهلية موضوعة ، وأن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . .......**

**أما بعد أيها الناس : فإن النسيئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استداركهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ....**

**أما بعد أيها الناس : فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا .....**

**فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه .**

**أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمون إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم .**

**اللهم هل بلغت ، أللهم اشهد ." .**

* **ملاحظات حول الخطبة :**
* **أول مايلاحظ على الخطبة أنها خطبة طويلة ، فهي تميل الى الاسهاب ، وذلك لأنها**

**خطبة تشريعية أي ان الرسول فيها كان مشرعا، و مفسرا ، وموضحا للأحكام**

**الشرعية الواردة في القرآن ، ومن هنا كانت بحاجة الى التفصيل والتأني والإطالة لإفهام المسلمين أمور دينهم ، ويلاحظ ايضا فيها تعدد الموضوعات من وعظ ديني ، وارشاد اجتماعي ، وتشريع أحكام . ولعل ظروف هذا الموقف الخطابي الخاص الذي يودع فيه الرسول أمته ، هي التي أملت على الخطبة هذا التعدد في الموضوعات لحرصه على تأكيد هذه الامور ، وتقريرها في عقول المسلمين وضمائرهم قبل أن يفارقهم ، وتحديد المنهج الذي يلتزمونه ويسيرون على هديه من بعده ، وهو العمل بكتاب الله وسنة نبيه أما الاحكام الشرعية والموضوعات الواردة في الخطبة فمنها :**

* **تأكيده على حرمة الربا وتحريمه في الاسلام لأنه يذهب البركة ، ويقضي على الحلال الذي يتخلله**
* **حرمة دماء المسلمين على بعضهم ، وتحديد دية القتل العمد هو ان يقابل لابالقتل ، وما كان غير عمد فديته مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الحاهية**
* **حرمة النسيئ ، والنسيئ هو من شعائر الجاهلية وهو ان هناك اربعة اشهر حرم يحرم فيها القتال وهي : ( ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ) وكانوا في الجاهليةاذا أرادوا القتال في المحرم وهومحرم فيه القتال قاتلوا فيه وحرموا بدلا عنه صفر ، وهذا تأخير للتحريم ومخالفة لكلام الله .**
* **الوصية بالمرأة خيرا وتحديد حقوقها وواجباتها ، وعالج جانبا من جوانب علاقتها بالرجل .**
* **أبان عن حرمة المال الخاص ، ونهى عن الاعتداء عليه**

**ويلاحظ ان كل هذه الموضوعات مما عالج القرآن الكريم ، فهي منه تستمد ، وعليه تعتمد ، وقد غلب لفظ القرآن على بعضها من ذلك لفظ النسيئ ( إنما النسيئ زيادة في الكفر ) وقوله : ( لا تظلمون ولا تظلمون ) وقوله : ( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ) وقوله : ( أن لا يأتين بفاحشة مبينة ) (8) وكلها عبارات ومعان قرآنية . ونلاحظ ان الخطبة ختمت بعبارة ( اللهم هل بلغت اللهم اشهد ) وان هذه العبارة تكررت في الخطبة ، وبهذا فقد اختلفت هذه الخطبة عن غيرها من خطب الرسول .**

1. **الخطب الجهادية :**

**وهي خطب الحث على القتال ، وهي أشبه ماتكون بالخطب العسكرية ، اتسعت وكثرت بسبب كثرة الحروب والمتمثلة بحروب الفتوحات الاسلامي ، فهي جهاد في سبيل الله وامتثالا لأوامره عز وجل وكانت هذه الحروب عاملا مباشرا في ازدهار هذا اللون من الخطب ، وهي عادة تقال في سوح المعارك يتوجه بها قائد الجيش الى جنده باعثا فيهم روح القتال ، والحماس ، موجههم نحو قتال الاعداء توجيها سليما يحقق النصر والغلبة ، ومثل هذه الخطب تميل نحو الايجاز وعدم الاطالة لأن الظرف لايسمح بذلك ، كما أنها لا تعير اهتماما للجوانب الفنية والبيانية ، فالخطيب هنا ليس بحاجة الى التنميق والابداع والاتيان بالصور البيانية والمجازات ، فهو كلام مباشر يراد منه ايصال رسالة واضحة وسريعة تؤدي الغرض والوصول الى الهدف ، فالخطيب هنا لايراعي الدقة في اختيار الألفاظ والعبارات ، وتراعى فيها البساطة ، ولاتراعى فيها الديباجة المتبعة في بناء الخطب ، فهي غالباى ماتخلو من المقدمة والبسملة دون مراعاة منهج معين في البدء والوسط والخاتمة كما في االخطب الاخرى .**

**نماذج لخطبة جهادية :**

**نموذج رقم (1)**

**خطب ابو عبيدة الجراح أحد القادة المشهورين بجيش المسلمين المتوجهين الى القتال ضد الروم في واقعة اليرموك يحثهم على الجهاد (9) :**

**" ياعباد الله: " انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " فإن وعد الله حق . يامعشر المسلمين : إصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، فلا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا اليهم خطوة ، ولاتبدءوهم بقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، وألزموا الصمت ، إلا من ذكر الله ، حتى آمركم إن شاء الله " .**

**يلاحظ ان الخطبة موجزة قصيرة ، خالية من الاعتبارات الفنية ، لغتها واضحة ، موضوعها واحد هو الحث على القتال والتذكير بقيمة واهمية الجهاد في سبيل الله ، كما يلاطظ استعانة الخطيب بآيات القرآن الكريم كوسيلة للحث على القتال ، وتكريس الشجاعة في النفوس، وبيان قيمة الصبر والثبات عند الله .**

**نموذج رقم (2)**

**خطبة الامام علي ( عليه السلام ) في الحث على الجهاد (10) : :**

**أما بعد : فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه ، رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذت وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماءة ، وضرب على قلبه بالأسداس ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف ، ألا وإني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، سرا واعلانا ، وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا . فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهريا ، حتى شنت عليكم الغارات ، وملكت عليكم الأوطان ..... ياعجبا كل العجب ، عجب يميت القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الأحزان ، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفشلكهم عن حقكم ، حتى أصبحتم غرضا ، ترمون ولا ترمون ، ويغار عليكم ولا تغيرون ، ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون .**

**إذا قلت لكم : اغزوهم في الشتاء ، قلتم : هذا أوان قر وصر ، وإن قلت لكم : اغزوهم في الصيف ، قلتم : هذه حمارة القيظ أنظرنا ، ينصرم الحر عنا ، وإذا كنتم من الحر والبرد تفرون ، فأنتم والله من السيف أفر .**

**يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طغام الأحلام ، وياعقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان ، ولقد ملأتم جوفي غيظا ، حتى قالت قريش : " إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب " لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا ، وأقدم فيها مقاما مني ، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وهاأنا قد ذرفت على الستين ، ولكن لارأي لمن لا يطاع ..........." .**

**الخطبة كما هو واضح في وصف الجهاد وبيان أهميته ، فهو باب من أبواب الجنة ، وهو طريق المسلم لرضا ربه ، وحصنه الواقي ، ويحذر المسلمين من ترك القتال والتثاقل عن الجهاد ، ويشد على عضدهم ، ويحثهم عليه مصورا الذل الذي يصيب من توانى عن الجهاد ، ثم يصف الحسرة والأسى اللذين ما برح يعانيهما من عصا الله وترك الجهاد متعمدا وهو قادر عليه .**

**هذه هي المعاني التي نهضت بها الخطبة ، وهي تبدو شائعة متداولة ، ولكن بلاغة الامام علي ( عليه السلام ) ألبستها حلة جديدة حتى نشعر أننا أمام أثر فني متكامل**

**فقد بدأ حديثه عن الجهاد بأسلوب الترغيب وقدمه على الترهيب أذ قال : إن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل .... فقد بين قيمة الجهاد عند الله ، وفي الاسلام ، والترغيب هو وسيلة تأثيرعظيمة في نفس المسلم ، لاسيما وقد اعتمد التصوير الفني والتشخيص بدل التجريد لمعرفة أثر ذلك في الفس ، فربط ذلك بوصف الجنة ونعيمها مقرنا ذلك بالجهاد ، ومن ثم انتقل الى الترهيب معتمدا على الالفظ التي توحي بذلك كالصغار ، الخسف ، القماءة والبلاء وغيرها .**

**ويلاحظ ان الخطبة اعتمدت اساليب بيانية غاية في الروعة وهي من الادواة التي امتلكها الامام ( عليه السلام ) فعبارة " وهو لباس التقوى " استعارة ، والعبارة ايضا اقتباس قرآني من قوله تعالى :قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ... " وفي عبارة " وألبسه الله ثوب الذل " استعارة مكنية أخرى ، وقد اعتمدت الخطبة المقابلة والطباق في العبارات " ليلا ونهارا ، سرا واعلانا " كما أنها مقتبسة من قوله تعالى : " رب أني دعوت قومي ليلا ونهارا ثم إني دعوتهم جهارا ."**

**كما أن عبارات الخطبة وجملها جاءت محكمة الأداء ليس فيها من هذر الكلام وزوائده فالمفردات على قدر المعاني والمعاني مكثفة تحمل دلالات عميقة ومؤثرة ، وعليه فإن الخطبة تمثل تطورا واضحا في الخطابة العربية المبكرة في عصر صدر الاسلام .**

1. **خطب المحافل والوفود ( الخطب الحفلية )**

**وهي لون من الخطب المعروفة في الجاهلية واستمرت في صدر الاسلام للحاجة اليها فقد كانت تفد على الرسول( صلى الله عليه وآله وسلم ) كثير من وفود القبائل وذلك سنة 8 للهجرة حتى سمي هذا العام عام الوفود ، وكان لكل وفد خطيب يتقدم القوم ، ولا شك أنه كان أكثرهم بيانا وفصاحة وبلاغة ، وكان الخطيب عادة يتأنق في اختياره للعبارات والالفاظ اللائقة بمجلس رسول الله ، كما انه كان يمثل قومه فلابد ان يكون أحسنهم واكثرهم قدرة على الافصاح بما يريدون من وفودهم ، كما تميزت هذه الخطب باشتمالها على آيات القرآن كوسيلة لتثبيت الكلام وزيادة مصداقيتة وتجميله ، وهي قد تطول ولكنها ليست مملة ، وتسمى هذه الخطب ايضا ( بذات ىالسماطين ) لأن الخطيب يقف خاطبا بينة صفين من الناس ، أي بين سمطين .**

* **نموذج لخطبة المحافل والوفود :**

**نموذج رقم (1 ) :**

**خطب ثابت بن قيس بين يدي رسول الله ردا على خطيب وفد بني تميم ، فقال (11) :**

**" الحمد لله الذي السموات والارض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيئ قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، وصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه ، وائتمنه على على خلقه ، فكان خيرة الله في العالمين، ثم دعا الناس الى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه ، وذوي رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعالا .**

**ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله " صلى الله عليه وسلم " فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله ، منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا .**

**أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم " .**

**يلاحظ ان الخطيب قد ابدع في الخوض في المعاني الاسلامية ، فقد مجد الله خالقا للسماوات والارض ، قادرا مدبرا ، واعتز برسول الله هاديا ورسولا ، وبالايمان به ، ونصرته ، وقدم المهاجرين لسبقهم الى الاسلام ، وعبر عن ثقة المسلمين بدينهم ، وتحمسهم للجهاد في سبيله ، وأن تلك الثقة وهذا التحمس تتضاءل امام قوة أهل الكفر مهما عظمت ( وكان قتله علينا يسيرا ) إنه يحلق في سماء دعوة اسلامية عامة ، ويتكئ على على مبادئ انسانية راقية ، يلاحظ ان الخطبة متأثرة بروح الاسلام ، كما عبرت عن جزالة صاحبها وتمكنه من البيان ، كما لاحظنا ان الخطيب لم يطل في خطبته كي لا يجلب الملل لسامعيه لا سيما انه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم )**

**نموذج رقم (2) :**

**خطبة عطار بن حاجب بن زرارة التميمي التي تقدم وفد بني تميم الى رسول الله( صلى الله عليه وآله وسلم ) فقال ( 12 ) :**

**"الحمد لله الذي له الفضل والمن ، وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عددا وأيسره عدة ، فمن مثلنا في الناس ؟ .**

**ألسنا برؤوس الناس ، وأولي فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا نحيا من الاكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك ، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا " .**

**ومن الجدير بالذكر أن الخطبة السابقة لثابت بن قيس كانت ردا على خطبة عطارد بن حاجب التميمي هذه ، وكلاهما كانتا خطبتين حفليتين القيتا أمام حضرة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ولكن يمكن ملاحظة الفرق بين الخطبتين ، فخطبة عطارد بن زرارة كان فيها نفس جاهلي ، وشيئ من التعالي والتفاخر والعنجهية ، فقد تفاخر بكثرة العدد والعدة والأموال ، كما تفاخر بالنسب والأمجاد ، وهذا بعض ما نهى عنه الاسلام وحاربه ، بينما جاءت خطبة ثابت بن قيس على النقيض من ذلك ، اذ حمد الله وتواضع له ، واعترف بفضله على قومه وعلى العرب جميعا إذ بعث فيهم رسولا منهم يصلح شأنهم ويهديهم وقد كانوا على خطأ وضلال .**

1. **الخطب السياسية :**

**وجد هذا النوع من الخطب نتيجة للحاجة اليها ، لاسيما بعد اتساع رقعة الدولة العلابية الاسلامية ، ونشوء نظام سياسي يتمثل بالدولة ومركزها والخليفة وولاته في الامصار ، ووجود أنظمة سياسية إدارية ، كل هذا التعقيد تبعه الاحداث المعقدة ، ونشوب الصراعات والخلا فات السياسية بين المسلمين ، وارتباط السلطة السياسية بالسلطة الدينية ، فالدين لاينفصل عن السياسة في النظام الاسلامي ، فالسياسة وجه من وجوه الدين ، هكذا كان مفهومها عند الخلفاء المسلمين الذين جمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية فكان ، الخليفة أو الوالي يستهل ولايته بخطبة يشرح فيها منهجه في تلك الولاية ، وصار ذلك تقليدا لكل خليفة جديد وهكذا كان الخلفاء الراشدون الاربعة يفعلون، وبعد وفاة الرسول بدأت الخطبة السياسية بالتطور بسبب انقسام المسلمين ( المهاجرين والأنصار ) في السقيفة ، وبعد تطور الاحداث في نهاية العصر وحدوث الخلافات السياسية والخصومات والمواجهات ، اتسعت الخطب السياسية ، ودخلت في مرحلة جديدة من التطور ، وأصبحت أشبه بالمناظرات السياسية بين المتخاصمين ، بعد أن دخلها الجدل والحجاج ، وسوق الادلة والبراهين ، والحوار .**

* **نماذج من الخطب السياسية :**
* **نموذج (1 ) : خطبة الخليفة أبي بكر الصديق حين وفاة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : (13)**

**" أيها الناس : إنه من كان يعبد محمدا ، فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد اللهى ، فإن الله حي لايموت : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " ) .**

**ويلاحظ انها أول خطبة لخليفة رسول الله يعلن فيها وفاة الرسول ويحاول ان يهدأ من انفعال المسلمين ، ويهون عليهم مصيبتهم بوفاته ( صلى الله ىعليه وآله وسلم ) وكأنه يشرع منهجا جديدا لهذه الامة بعد قائدها ومشرعها الأول ، كما ويلاحظ استناد الخليفة أبو بكر الصديق في هذا الاقناع والتأثير على المسلمين بالقرآن الكريم لمعرفته بعظم تأثيره عليهم واقتباسه الآية القرآنية التي حملت معنى عظيما وكبيرا اختصر فيها كلامه وجنبه الحجاج واللجاج معهم .**

**نموذج رقم (2)**

**خطب أبو بكر الصديق ( رضي الله عنه ) في سقيفة بني ساعدة في أول عهده بالخلافة قال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه ( 14):**

**" أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس اسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأمسهم رحما برسول الله ، أسلمنا قبلكم ، فقال تبارك وتعالى : ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين تبعوهم بإحسان ) .**

**فنحن المهاجرون ، وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيئ ، وأنصارنا على العدو ، آويتم ونصرتم ، فجزاكم الله خيرا ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لاتدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله " .**

**و يلاحظ على هذه الخطبة انها نحت منحى سياسيا ، أي ان طابعها سياسي ، إذ عالجت خلاف المهاجرين مع الانصار حول خلافة رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) وفيها بين الصديق فضل المهاجرين على الانصار في سبقهم للإسلام ، وقربهم من الرسول كوسيلة إقناع وحجة لرأب الصدع ، وحل الخلاف بحكمة، ودليل مقنع ، كما ويلاحظ قصر الخطبة والايجاز فيها كأسلوب انتهجه ذلك السلف الصالح في هكذا خطب تعالج امورا لا تستدعي الاطالة والاسفاف في القول ، كما ويلاحظ قلة مراعاة التقاليد الفنية من بدء وخاتمة ، ذلك كما يقال لكل مقام مقال ، فالظرف والحدث لا يسمح بمراعاة تلك الجوانب في الخطبة ، فجاءت موجزة عباراتها قصيرة ، كما ويلاحظ عدم الاستغناء عن النص القرآني كوسيلة اقناع ومحاججة وتأثير على السامعين .**

* **نموذج رقم (2 )**

**خطبة الإمام علي ( عليه السلام ) في الكوفة خطب الامام علي بعد حادثة التحكيم ، فقال : ( 15)**

**" الحمد لله ، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجلل ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وليس معه إله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد : فإن معصية الناصح الشفيق ، العالم المجرب ، تورث الحسرة ، وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ، ونخلت لكم مخزون رأيي " لو كان يطاع لقصير أمر " ، فأبيتم علي إباء المخالفين الجفاة ، والمتنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ن وضن الزند بقدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :**

**أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد**

**وإن هذين الرجلين الذين اخترتموهما حكمين ( عمرو بن العاص ، وأبا موسى الأشعري) قد نبذا حكم القرآن وراء وراء ظهورهما ، وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ، فحكما بغير حجة بينة ، ولا سنة ماضية ، واختلفا في حكمهما ، وكلا هما لم يرشد ، فبرأ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ، إستعدوا ، وتأهبوا للمسير الى الشام " .**

**يلاحظ على هذه الخطبة التي تحمل فكرا سياسيا يدور حول معصية ومخالفة ولي الامر التي تجلب الخسران وتعقب الندم ، يخاطب الامام فيها أتباعه الذين أساءوا تقدير الامور بمخالفتهم له ، وقبولهم بتحكيم الرجلين ( وقد حكما بشأن معركة صفين التي كانت بين الامام علي ومعاوية بن أبي سفيان ) ,**

**يلاحظ ايضا في هذا النوع من الخطب السياسية الاطالة ، عمق الأفكاروخصبها ، والدقة في عرضها ، واستعمال المنطق للإقناع ، والعاطفة للتأثير في السامعين ، كما توفرت على الصدق العاطفي ، والايمان بما يقول ، ويلاحظ ايضا استعانة الامام بالشعر والمثل (لا يطاع لقصير أمر ) كواحدة من الوسائل الاسلوبية التي سار عليها خطباء العصر لغرض والتي تدل على تمسك الخطباء بالشعر واهتمامهم به كوسيلة توضيح وتمثيل ، وإحداث تأثير في النفوس لمعرفة الخطيب تأثير الشعر في نفوس القوم ، ويلاحظ استعانة الخطيب بالجوانب البيانية وقد جاءت عفوية لما عرف من امتلاك الامام ناصية البلاغة والبيان ( نخلت لكم مخزون رأيي ، وضن الزند بقدحه ) ويبدو التمسك بمنهجية الخطابة واضحا في المقدمة التي بدأت بالتحميد والثناء والتشهيد ، والعرض ، مع انها لم تتخذ خاتمة عند الانتهاء .**

1. **خطب الإملاك والزواج : هي نوع من الخطب الاجتماعية التي تعطي انطباعا عن تغطية الخطابة لكل شؤون الحياة في المجتمع ، وتشير الى تطور وازدهار الخطب في عصر صدر الاسلام ، وخطب الزواج نموذجا للخطب الاجتماعية التي من تقاليدها أن لايطيل الخطيب فهي موجزة قصيرة عادة ، وهي الخطبة الوحيدة التي يكون الخطيب فيها جالسا وليس واقفا ، ويلاحظ عليها السهولة والخفة وعدم الاهتمام بالتنميق والتنسيق والبراعة في العرض ، وعدم الالتزام بمنهجية كما الخطب الاخرى ، وعدم التفنن فيها ، فهي تقال من عامة الناس وليس من قبل خطباء مشهورين بقدرتهم وتمكنهم من فن القول .**

**نموذج رقم (1) :**

**ومن أمثلة ذلك خطبة بلال بن رباح حين خطب لأخيه امرأة من قريش فقال (16):**

**" نحن من قد عرفتم ، كنا عبدين فأعتقنا الله ، وكنا ضالين فهدانا الله ، وفقيرين فأغنانا الله ، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة ، فإن تنكحوه فالحمد لله ، وإن تردوه فالله أكبر " .**

**ويلاحظ الايجاز ، في قلة ألفاظها وعدم التكلف في أسلوبها ، والوضوح في لغتها ولعلنا هنا نستحضر خطبة أخرى في الزواج نرى من الاجدر ان نجعلها ضمن هذه الحقبة الزمنية وإن كانت قد قيلت قبل الاسلام ولكن أسلوبها ولغتها والفاظها واشخاصها تعطيها طابعا اسلاميا ، تلك هي الخطبة التي قالها أبو طالب خاطبا السيدة خديجة ( رضي الله عنها ) لأبن أخيه محمد ( صلى الله عليه وآله وسلم ) : (17)**

**نموذج رقم (2) :**

**" الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحجام على الناس ، وإن محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش ، إلا رجح به بركة وفضلا وعدلا ، وان كان في المال مقلا ، فان المال عارية مسترجعة وظل زائل ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أردتم من الصداق ، فهو علي " .**

**الوصايا -**

**فن من الفنون النثرية التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي ، تناولوا فيها بعض جوانب حياتهم الاجتماعية ، وبعض حكمهم وأخلاقهم ، وهي -أي الوصايا -عند الجاهلي تقترب من الخطب كثيرا ، من حيث الإداء الفني ، وتركيب العبارات ، وإيثار السجع ، مع وجود الموازنة ، والازدواج بين الجمل ، وقصر الجمل غالبا ، وكثرة الامثال ، والحكم ، بعيدة عن الغموض والتكلف .**

**أما في ظل الاسلام فقد تطورت الوصايا ، واتسعت موضوعاتها ، وتنوعت أساليبها ، شأنها في ذلك شأن الخطبة ، فقد تأثرت بالاسلام ، والقرآن الكريم شكلا ومضمونا ، وظهر من أنواعها : الوصايا الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاخلاقية ، وكان هذا التنوع وليد حاجة المجتمع بعد اتساعه ، وقيام الدولة والحكومة وماتفرع عنها من حاجات ادارية وعسكرية وسياسية .**

**وقد خلف هذا العصر جملة من الوصايا مصدرها الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ، واصحابه ، وبعض الفقهاء والعلماء ، معظمها دينية وعظية ارشادية ، وبعضها حمل طابعا سياسيا ، ولاسيما تلك الوصايا التي يوصي بها الخليفة لمن سيليه في خلافة المسلمين ، أو قد تكون موجهه الى الولاة في الامصار وقادة الجند في أثناء الحروب ، وغالبا مايكون مصدرها الخليفة . ومن نماذج هذه الوصايا :**

**وصايا دينية وعظية :**

**نموذج رقم (1) .**

**وصية الامام علي (عليه السلام ) لأبنيه الحسن والحسين ( عليهما السلام ) عند وفاته (18) :**

**" أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا ، وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيئ منها زوى عنكما ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضائع ، وأضيفا الجائع ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم عونا ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم " .**

**والوصية واضحة جدا ، فالإمام يوصي ولديه ( عليهم السلام ) وصية المسلمين المتقين لأبنائهم ، وما جاء فيها هو من خلق الاسلام وتعاليمه ، وما ورد في القرآن من تعاليم لمن يريد ان ينجو ، ويقي الله ويرضيه . ويلاحظ كثافة المعنى ، وحسن اختيار اللفظة والعبارة .**

**نموذج (2)**

**قال الامام علي ( عليه السلام ) يعظ ويوصي ( 19) :**

**" أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الإبل لكان قليلا ، لا يرجون أحدكم إلا به ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وإذا لم يعلم الشيئ أن يتعلمه ، واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد "**

**ويلاحظ جمال العبارات ودقتها وحسن اختيار الالفاظ المعبرة عن المعاني ، فالكلام حكم ودرر رائعة يروم الامام منها تقويم الخلق ، وتعديل المعوج منها بما يتوافق من دعوة الاسلام وهدفه في تقويم النفوس وتهذيبها .**

**نموذج (3)**

**ومن الوصايا الوعظية الدينية الارشادية،وصية الخليفة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه )**

**وعظ عمر قائلا : (20)**

**" لا يلهينك الناس عن نفسك ، فإن الأمير يصل اليك دونهم ، ولا تقطع النهار سادرا ، فإنه محفوظ عليك ما عملت ، وإذا أسأت فأحسن ، فإني لم أر شيئا أشد طلبا ، ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذئب قديم " .**

**لاحظ استعانة الفاروق بالتشبيه التمثيلي لتقريب المعنى وتأثيره في نفس السامع ، كما يلاحظ استعانته بأسلوب الطلب والنهي لموافقة للوعظ والوصية .**

**وصايا سياسية :**

**هناك وصايا اتخذت طابعا سياسيا ، إذ أنها تحمل مضمونا سياسيا ، أو كونها تصدر من خليفة المسلمين لمن سيتولى الأمر بعده ، أو من خليفة الى وال من الولاة ، وقد لا تكون هذا ولا ذاك ، ولكنها تحمل مضمونا يتعلق بسير الحكم ، وووجوب طاعة الخليفة وتوجيهه وحثه وتذكيره باتقاء الله في الرعية والعدل بينهم . ومثال ذلك وصية الخليفة عمر بن الخطاب لولده قبيل وفاته : ( 21)**

**وصية الخليفة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) لمن يلي بعده في الخلافة متوجها بها لولده عبد الله بن عمر قبيل وفاته :**

**" أي بني : إذا قام الخليفة بعدي فأته، فقل له : إن عمر بن الخطاب يقرئك السلام ، ويوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين والانصار ، أن تقبل من محسنهم ، وتتجاوز عن مسيئهم ، ويوصيك بأهل الأمصار خيرا ، فإنهم غيظ العدو ، وجباة الفيئ ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، ويوصيك بأهل البادية خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ..... "**

**وصايا اجتماعية :**

**هناك نمط آخر من الوصايا أخذ طابعا اجتماعيا يتعلق بشؤون الحياة اليومية وأحداثها كالزواج ، والمواليد ، والموت ، والمناسبات الاخرى ، وتعكس هذه الوصايا جانبا من الحياة العربية الاسلامية آنذاك ، ولعل من أطرف تلك الوصايا ماقاله أبو الأسود الدؤلي لأبنته ليلة زفافها :**

**وصية أبي الأسود الدؤلي لابنته ليلة عرسها : (22)**

**" يابنية : كان النساء أحق بأدبك مني ، ولكن لابد لي منه ، يابنية : إن أطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل ، يابنية : لاتكثري مباشرة زوجك فيملك ، ولا تباعدي عنه فيجفوك ، ويعتل عليك ، وكوني كما قلت لأمك :**

**خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب**

**فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب**

**ومن الواضح انها وصية اجتماعية في مضمونها ، وطابعها ، ويلاحظ ان الموصي استعان بالشعر لتعزيز وصيته وتجميلها ، واكسابها تأثيرا وحلاوة .**

**السمات الفنية للخطابة في عصر صدر الاسلام**

**قلنا أن الخطابة تطورت في ظل الاسلام ، وبينا أسباب هذا التطور ومظاهره في أنواعها وأغراضها واتجاهاتها ، ونريد هنا أن نبين الى ملامحها أو سماتها الفنية في ألفاظها ومعانيها وأساليبها :**

1. **من حيث الالفاظ تميزت ألفاظ الخطب بسهولتها وعذوبتها ، وبعدها عن الغريب والحوشي ، ولاشك أن القرآن الكريم ، وأقوال الرسول ، والحضارة الاسلامية ، كانت السبب المباشر في تهذيب الالفاظ وجعلها سهلة مألوفة ، كذلك كان لها دور في التوسع في دلالات الالفاظ باستخدامها في معان أخرى ، مثل ألفاظ : الصلاة الزكاة ، المؤمن ، الكافر ، الجنة ، النار ، الربا ، وغيرها خلع عليه الاسلام معاني شرعية خاصة .**
2. **التوسع في المعاني : باستخدام كثير من المعاني الاسلامية الجديدة التي أوجدها القرآن الكريم ، ، وغزو حقول جديدة فيها لم تؤلف من قبل مع حسن تنظيمها ، وعرضها تبعا للرقي الفكري والثقافي الناتج عن هدى القرآن ، فقد تأثر الخطيب بالمعاني القرآنية استمدادا ، واقتباسا ، واستشهادا ، والميل أحيانا الى التعبير عن المعني تعبيرا تصويريا يستعين بأساليب البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وهذا مالا حظناه في خطب الامام علي ( ع )**
3. **اتباع أساليب متنوعة جديدة كالاقتباس من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وتضمين الشعر والمثل والحكمة ، وكان هذا قد كثر في خطب نهاية العصر ، ولاسيما في خطب الامام علي بخاصة ، حيث احتلت الحكم والامثال مكانا بارزا فيها ، بينما كان اسلوب الخطب في بداية العصر يميل الى البساطة**
4. **المراوحة بين الايجاز والاطناب ( الاطاله ) فقد لاحظنا أن خطب العهد النبوي وبداية العصر الراشدي تميل الى الايجاز المؤدي الى الفكرة من أقرب السبل ودون تكلف ، ويعبر عن هذا قول الخليفة أبي بكر يوصي أحد القادة المتوجه لفتح الشام " وأذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا "**

**أما في أواخر العد الراشدي فنلاحظ ميل الخطيب الى استخدام بعض أساليب الإطالة والاسهاب ، بسبب اضطراب الاحداث ، وكثرة الفتن ، فكان الخطيب بحاجة الى الاقناع والتأثير في السامع مما اضطر الى استخدام أساليب الاقناع ومنها البراهين والادلة النقلية والعقلية ، والمحاورة والنقض ما يؤدي الى الاطالة**

1. **اتخذت الخطابة في المقدمة طريقة واحدة ، وهي البدء بحمد الله والثناء عليه وتعظيمه ، وقد يضاف الصلاة على النبي ، أما الخاتمة فلم تأخذ طابعا واحدا ، فأحيانا يكون بآية من القرآن ، وقد يكون بتعظيم الله وتمجيده ، أو بعبارة " السلام عليكم " ، أو بيت من الشعر ، أو الدعاء ، أو الاستغفار ، وقد تخلو من الخاتمة تماما**
2. **التميز بوحدة الموضوع القائم على الترابط بين عناصر الموضوع ، والتلاحم بين الفقرات**
3. **تدفق العاطفة ، وقوتها ، وصدق التعبير ، وشدة إيمان الخطيب بما يقول .**
4. **خصب الافكار وعمقها وغناها ، والدقة في عرضها وتسلسلها تأثرا بأسلوب القرآن الكريم .**

**القسم الثاني**

**النثر في عصدر صدر الاسلام**